



حكومة الشارقة
دائرة الشؤون الإسلامية

الرفق واللين في الدعوة إلى الله

من إصدارات
دائرة الشؤون الإسلامية

الرفق واللين في الدعوة إلى الله

إعداد: قسم الوعظ

دائرة الشؤون الإسلامية بالشارقة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

كلمة رئيس الدائرة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن العناية بنشر العلم في المجتمع، وتبيين الأحكام الشرعية للناس، من أعظم مقاصد بعثة نبينا محمد ﷺ، فبذلك تتحقق المحافظة على الدين والوطن، وحرصاً من دائرة الشؤون الإسلامية على تحقيق هذا الهدف، فقد أُعدَّت هذه الرسالة في الدعوة إلى الله، لتذكير الدعاة بضرورة التحلي بالأخلاق الحسنة في نشر الدعوة وعلى رأسها الرفق واللين، نسأل الله التوفيق لدعاة الخير، وأن يبارك في ولاية أمرنا على دعمهم لبيوت الله، وإعانتهم على نشر الثقافة الشرعية المعتدلة.

صقر بن محمد القاسمي

رئيس الدائرة

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً، أما بعد:

فإن من أصول الأخلاق التي قامت عليها الدعوة إلى الله تعالى، وبعث الله بها رسوله: الرفق واللين في خطاب الناس، ومعاملتهم، وحوارهم؛ وذلك لِمَا لهذا الخلق من ثمار يانعة، وعواقب نافعة، فاستصحاب هذا في القيام بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر لازم في حق كل داعية؛ لتحقيق المقصود الشرعي من هذه العبادة الجليلة، أعني: الدعوة إلى الله، قال بعض السلف: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه"^(١).

(١) انظر الاستقامة لابن تيمية (٢/٢٣٣).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله موضحاً ما يجب على
الداعي إلى الله: "فالفقه قبل الأمر، ليعرفَ المعروفَ ويُتَكَرَّ المنكرَ.
والرفقُ عند الأمرِ لِيَسْلِكَ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ.
والحلمُ بعدَ الأمرِ لِيَصْبِرَ عَلَى أَذَى الْمَأْمُورِ الْمَنْهِيِّ، فَإِنَّهُ كَثِيرٌ مَا
يَحْصُلُ لَهُ الْأَذَى بِذَلِكَ"^(١).

وما أَجْمَلَ وَصِيَّةَ الْإِمَامِ الْحَافِظِ الْفَقِيهِ سَفِيَانَ بْنِ سَعِيدِ الثَّوْرِيِّ
حَيْثُ قَالَ: "أَوْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ فِي رَفَقٍ، فَإِنْ قُبِلَ مِنْكَ حَمْدُ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ، وَإِلَّا أَقْبَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ؛ فَإِنْ لَكَ فِي نَفْسِكَ شُغْلًا"^(٢).

وهذه الرسالة المختصرة تكشفُ بعضَ جزئياتِ هذا الموضوعِ،
وتُبرِّزُ بعضَ ثَمَارِهِ، وتُقَرِّبُ بعضَ أَحْكَامِهِ وتطبيقاتِهِ، فحريٌّ
بالسائرين على منهاج رسول الله ﷺ في دعوته العنايَةُ بِهَذَا الْخَلْقِ،
والاجتهادُ فِي التَّحَلُّقِ بِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا، والحمد لله رب العالمين أولاً
وآخراً وظاهراً وباطناً.

* * *

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٦٧).

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/١٢٤).

الفصل الأول

فضل الدعوة إلى الله والترغيب فيها

الدعوة إلى الله عبادة عظيمة، وقربة جليلة، القائم بها قائم بوظيفة الرسل، والساعي فيها سائر على هدي النبي ﷺ وطريقته، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، ومن أداها كما أمر فهو أحسن الناس قولاً، وأجملهم منطقالاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وبنشر الدعوة إلى الله تُنصَرُّ هذه الأمة، ويعلو شأنها، وتقوى سيادتها بين الأمم، قال جل وعلا: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُٗٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وَمَنْ تَصَدَّىٰ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَتَعْلِيمِ النَّاسِ مَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقْرِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ فَجَدِيدٌ أَنْ يَنَالَ ثَنَاءَ اللَّهِ، وتناله دعوة الملائكة، واستغفار أهل

السماءِ وأهلِ الأرضِ، حتى من الحشرات والحيوانات، فما أعظمه من ثواب يُجيبُ الهمم الضعيفة، ويحرك النفوس المقصرة، قال نبينا ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ؛ لِيُصَلُّوا عَلَيَّ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(١).

وقال صلوات ربي وسلامه عليه: «مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَعْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيْتَانُ فِي الْبَحْرِ»^(٢).

قال ابن القيم -رحمه الله-: "لما كان تعليمه للناس الخير سبباً لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم؛ جازاه الله من جنس عمله بأن جعلَ عليه من صلواته وصلاحه ملائكته وأهل الارض ما يكون سبباً لنجاته وسعادته وفلاحه"^(٣).

ومن تسبب في هداية الناس كان له ثواب من تبعه على الخير وعَمِلَ به لقوله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ

(١) رواه الترمذي برقم: (٢٦٨٥).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٦٢١٩)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٣٠٢٤).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/١٦٩).

أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»^(١).

فهنيئاً لمن يهدي الله تعالى على يديه أقواماً كل يوم، ويُتقذ الله بدعوته أفراداً وجماعات من المعصية إلى الطاعة، ومن البدعة إلى السنة، ومن الكفر إلى الإسلام، وهذه الخيرية المنشودة ينبغي أن لا تفارق قلب الداعي إلى الله، قال ﷺ: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(٢)، وحمُر النعم هي الإبل الحُمْر، وهي أنفس أموال العرب^(٣).

وَمَنْ تَأَمَّلَ النُّصُوصَ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ التَّفَقُّهَ فِي الدِّينِ، وَالْقِيَامَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِنذَارَ الْمَدْعُومِينَ يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَبَّمَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَأَعْلَى مَرْتَبَةً لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٧٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٩٤٢)، ومسلم برقم (٢٤٠٦).

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٨/١٥).

يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢] فهلا حَرَكَ هذا الترغيب الإلهي
النفوس إلى تحقيق هذا المطلب الشريف، والاجتهاد في طلب
العلم، ونشره بين الناس وإصلاح الخلق به؟

وبتحقيق هذا يكون المرء مباركاً نافعاً، "فإن حقيقة بركة الرجل؛
في تعليمه الخير حيث حلّ، ونصحه كل من اجتمع به، قال
تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١] أي:
معلماً للخير، داعياً إلى الله، مذكراً به، مرغباً في طاعته، فهذا من
بركة الرجل، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة" (١).

ومن سلك سبيل الدعوة إلى الله، وقام بها على الوجه الذي
أمر به، وبيّنه نبيه ﷺ؛ كان أحد الرجلين اللذين يُغبطان على
صنيعهما، ويتمنى الناس أن يكون أحدهم مثله، لما يقوم به من
الإحسان إلى الناس بالعلم، وتبصيرهم بحقوق الله تعالى وحقوق
العباد، والترغيب في الخير، والترهيب من الشر.

قال عليه الصلاة والسلام: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (٥).

اللَّهُ مَا لَا فَسُطَّ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ
يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(١).

وبالسير في هذا السبيل ولزوم آدابه وأحكامه وضوابطه؛ ينجو
الداعية عند الله، ويسلم من الخسران، ويظفر بخيري الدنيا
والآخرة، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا
بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

* * *

(١) رواه البخاري برقم (٧٣)، ومسلم برقم (٨١٦).

الفصل الثاني

أصول الدعوة إلى الله إجمالاً

تقدم في الفصل الأول أن الدعوة إلى الله تعالى عبادة؛ وذلك لأمر الله تعالى بها، وبيانه وَعَلَيْكَ لفضلها في آيات عديدة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القصص: ٨٧]، وقال: ﴿فَإِذْ لِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

هذه الأوامر في الدعوة إلى الله لا بد أن تُطبق حسب الأصول الشرعية التي جاء بيانها في القرآن والسنة، من خلال رعاية ركائز دعوية قررها الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأكدوا عليها.

وعلى رأس هذه الركائز الجليلة؛ تعريف الناس بالله تعالى وبما له من الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحكيمة، ومن دلالته على لزوم حقوقه عز وجل، من عبادته، والقيام بطاعته، والعمل بما شرعه، والإقبال على ما يحبه ويرضاه ظاهراً وباطناً، ومن

بيان مآلهم، وفضل سعيهم، وعظيم الأجور المترتبة لهم - إن استجابوا لله ورسوله ﷺ - والعكس بالعكس، إن هم أعرضوا، ولم يرفعوا رأساً بما جاءت به الرسل ودعوا إليه.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "والرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أرسلوا بالدعوة إلى الله، وبيان الطريق الموصل إليه، وبيان حال المدعويين بعد وصولهم إليه، فهذه القواعد الثلاث؛ ضرورة في كل ملة على لسان كل رسول، فعرفوا الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفاً مفصلاً حتى كأنَّ العباد يشاهدونه سبحانه، وينظرون إليه فوق سماواته على عرشه، يكلم ملائكته، ويدبر أمر مملكته، ويسمع أصوات خلقه، ويرى أفعالهم وحركاتهم، ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم، يأمر وينهى، ويرضى ويغضب، ويجب ويسخط، ويضحك من قنوطهم وقُرب غيره^(١)، ويجب دعوة مضطربهم، ويغيث ملهوفهم، ويعين محتاجهم، ويجبر كسيرهم، ويغني فقيرهم، ويميت ويحيي، ويمنع

(١) المعنى: تغير الحال من حال إلى ضدها في وقت قريب. انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (٤١١/٨).

ويعطي، يؤتي الحكمة من يشاء، مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كل يوم هو في شأن، يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويفك عانيا، وينصر مظلوما، ويقصم ظلما، ويرحم مسكينا، ويغيث ملهوبا، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقدّمه، ويؤخر ما يشاء تأخيره، فأزمة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة.

القاعدة الثانية: تعريفهم بالطريق الموصل إليه، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه لرسله، وأتباعهم، وهو امتثال أمره واجتناب نهيه والإيمان بوعده ووعيده.

القاعدة الثالثة: تعريف الحال بعد الوصول، وهو ما تضمنه اليوم الآخر من الجنة والنار، وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصراط"^(١).

وبيان هذه القواعد لا بد أن يصاحبها أخلاق عالية، وأعمال

(١) مدارج السالكين (٣/٣٢٥).

حكيمة حتى تتحقق الغاية الكبرى من الدعوة إلى الله، وهي إصلاح أحوال الناس، واستقامة أمورهم، وتركية نفوسهم، وضبط عاداتهم، وعبادتهم بالضوابط الشرعية قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

وعليه يقال: فَمَنْ كَانَ ذَا عِلْمٍ فِي دَعْوَتِهِ، بَصِيْرًا بِمَا يَدْعُوا إِلَيْهِ، بَصِيْرًا فِي حَالِ الْمَدْعُو، بَصِيْرًا فِي طَرِيقَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَكَيْفِيَّتِهَا^(١)، مراعيًا للمصالح والمفاسد مما يعترضه من شؤون الدعوة، مدركًا لقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، معتصمًا بالكتاب والسنة، ملازمًا للوسطية والاعتدال، بعيدًا عن الغلو والجفاء، سالكًا أقرب الطرق وأعد لها هداية الناس، متحليًا بالأخلاق النبوية، مستعينًا بالله في ذلك كله فإنه يُوشِكُ أَنْ يُوفِقَ، ويفتح الله له القلوب ويقر عينه بثمره عمله وجهده الذي قام به، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وإن من تلك الأخلاق التي أشرت إليها والتي لها أثر بالغ في نفوذ الدعوة وقبولها لدى الناس؛ الرفق بالمدعوين ولين الجانب لهم،

(١) انظر: زاد الداعية إلى الله لابن عثيمين (٧ - ٨).

فما هو الرفق؟ وما ضرورته للدعوة؟ وما هي ثماره؟ وما هي معالمه؟
وما هي الوسائل المساعدة على التخلق به؟ كل هذا وغيره سيرى
الداعية إلى الله بيانه في الفصول الآتية.

* * *

الفصل الثالث

الرفق في الدعوة ضرورة شرعية

إن الرفق من نعوت الله الكريمة، وصفات كماله العظيمة، فتبارك ربنا وعز شأنه بما اتصف به من صفات الكمال ونعوت الجلال، فعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(١).

وهذا الرفق من الله تعالى واصل لعامة خلقه، وشامل لجميع أحكامه الشرعية والقدرية؛ لذا فإنه تعالى لا يأمر عباده بما لا يطيقون، ولا ينهاهم إلا عما فيه ضرر عليهم، وإفساد لهم، بل بلغ رفقهُ بخلقه حتى بمن تعدى حدوده، وحاربه بالمعاصي؛ ليتوب إليه ويرجع عن غيِّه، ومن شواهد هذا قوله ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتِّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُحْطِئِ أَوْ الْمُسِيءِ،

(١) رواه مسلم برقم: (٢٥٩٣).

فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَعْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً»^(١).

وبما أنه تعالى متصفٌ بصفة الرفق فإنه تعالى يحبها، ويجب من عباده أن يتصفوا بها، ويجب تعالى من عباده من كان رفيقاً بخلقه، "وأحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم من اتصف بالصفات التي يكرهها"^(٢).

وأولى الناس بالاتصاف بهذا الرفق هو الداعية إلى الله تعالى، فإنه أحوج إلى الرفق بالناس، والرفقة بهم من غيره.

والرفق في الدعوة إلى الله هو لين الجانب بمن يُراد دعوته، والأخذ بالأسهل من الأعمال والأقوال مع المدعو، واللفظ في التعامل والتواصل مع الآخرين، ولهذا قال الحافظ ابن حجر: "الرَّفْقُ: بكسر الراء، وسكون الفاء، بعدها قاف، هو لين الجانب: بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف"^(٣).

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٧٦٥)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٢٠٩).

(٢) طريق المهجرتين لابن القيم (١/ ٢٧٥).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٤٤٩).

ويُعدّ هذا الخلق ضرورياً للدعاة إلى الله لاعتبارات متعددة، ووجوه متنوعة، دل عليها الكتاب والسنة ويشهد لها الواقع، وهي:

الوجه الأول: أمر الله تعالى من سلف من الأنبياء بلين القول والرفق في الدعوة، قال تعالى لموسى وهارون عليها السلام عندما بعثهما إلى فرعون مصر: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ وَيتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

والقول اللين هو: السهل اللطيف المشتمل على الرفق في العبارة، والأدب في اللفظ الخالي من الفظاظة والغلظة^(١).

وفي هذا إرشاد الدعاة إلى التخلق بهذا الخلق اقتداءً بموسى وهارون عليهما السلام، فإذا كان موسى وهارون مأمورين بذلك في الدعوة، وهما غاية في الخلق والأدب والرفق؛ فغيرهما أولى بذلك وأحرى^(٢)، ولا يخفى أن الله لا يأمر إلا بما هو أنفع للدعوة وأقرب لاستمالة القلوب وكسبها وهدايتها.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٠٦).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٥/١٤).

الوجه الثاني: لما لاستعمال الرفق في الدعوة من أثر كبير في الوصول إلى هداية المدعو، واقتناعه بالحق، وقبوله له، ومراجعته لنفسه، وعودته إلى ربه عز وجل، وفي هذا يقول الحافظ ابن حبان -رحمه الله-: "ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يجب إلا بمقارنة الرفق"^(١)، وقد بين الله هذه الثمرة للرفق بقوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْتَشِي﴾ [طه: ٤٤]، وذلك بعد أن أمر موسى وهارون بالقول اللين لفرعون.

وإذا حصل التذكر بما ينفع، والخشية مما يضر، تحققت الاستجابة للحق بإذن الله، وإلى هذه الثمرة من ثمار الرفق نبه ﷺ بقوله: «وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(٢).

الوجه الثالث: في الأخذ بالرفق في الدعوة إلى الله اقتداء بالنبي ﷺ، وسير على منهاجه، وعمل بسنته، فقد كان - صلوات ربي وسلامه عليه- لين الجانب، دائم البشر، سهل الخلق، عذب

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٢٠٦).

(٢) تقدم تخرجه (١٧).

اللفظ، لا يُرى منه إلا ما تطيب له النفس، ومواقفه ﷺ شهادة بذلك، وقد عاينها القريب والبعيد، والعدو وغيره، وسيأتي ذكرها متتابعة في الفصل الخامس.

واتصافه عليه الصلاة والسلام بالرفق أمر معلوم بالضرورة في سيرته وأقواله وأفعاله ومعاملته ودعوته، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "ومن نظر في أقوال رسول الله ﷺ وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق، وتلطفه في حق الناس بأنواع الرفق واللين واللطف، إلى تحسين الأخلاق وإصلاح ذات البين، وبالجملة إلى ما يصلح به دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري بأن شفقتة على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده" (١).

وإذ قد تبين هذا فالواجب على من تصدى للدعوة إلى الله التجمل بهذا الخلق والعمل به تأسياً برسول الله ﷺ، قال الشيخ ابن باز - رحمه الله -: "السنة للواعظ والمذكر: الرفق، واستعمال الأسلوب الحسن، والترغيب والترهيب، والجدال بالتي هي أحسن، هذا هو السنة" (٢).

(١) شرح الأصبهانية (٦٠٧).

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز (٢٩٣/١٨)

الوجه الرابع: أن الرفق في الدعوة إلى الله واللين فيها يثمر التفاف الناس حول الداعية، والإقبال عليه، وقوة الثقة به، والاطمئنان إلى كلامه، والتأثر بأسلوبه، والعمل بما يقول ويرشد إليه، ولهذا لما امتن الله على نبينا ﷺ بهذا الخلق نبه على عاقبته فقال: ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والمعنى: "أي: برحمة الله لك ولأصحابك، من الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك"^(١).

الوجه الخامس الذي يتحتم معه الأخذ بالرفق: هو حال كثير من الناس في زماننا، وما هم عليه من الجهل بالأحكام الشرعية، والإعراض عن الهدى والعلم، والانشغال بالدنيا، وضعف الإيمان، واتباع خطوات الشيطان ونحو ذلك، فهذا كله يدعو إلى الرفق بهم لأنه أقرب الطرق لدعوتهم، ودلالتهم على الخير، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "والرفق سبيل الأمر بالمعروف

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٥٤).

والنهي عن المنكر"^(١)، وكلما اشتدت الغفلة وتتابعت الفتن على القلوب كان استعمال الرفق آكد، ولهذا قال الشيخ ابن باز - رحمه الله -: "... هذا العصر عصر الرفق والصبر والحكمة، وليس عصر الشدة، الناس أكثرهم في جهل، في غفلة، إثارةً للعالم، فلا بد من الصبر، ولا بد من الرفق حتى تصل الدعوة، وحتى يبلغ الناس وحتى يعلموا"^(٢).

الوجه السادس: تشتد ضرورة الداعية إلى الله إلى الرفق في دعوته، لأنَّ في تخلقه بخلق الرفق قياماً بعملٍ محبوبٍ لله تعالى، ومرضيٍّ عنده، وبه يُعان بإذن الله على دعوته إلى القيام بأمر الله، والتحذير من نهيه، وفي هذا يقول نبينا ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيَرْضَاهُ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ»^(٣).

(١) الاستقامة (٢/٢١٠).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١٠/٩١).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٤٧٧)، قال المنذري في الترغيب والترهيب: "رواه الطبراني من رواية صدقه بن عبد الله السمين، وبقية إسناده ثقات) وقال الألباني: "صحيح لغيره" انظر: صحيح الترغيب برقم (٢٦٦٨)، والسلسلة الصحيحة (٣/١١).

والداعية إلى الله يلي بدعوته أعظم وظيفة وأسمى مهمة وأجل فريضة- إنها الدعوة إلى الله والتعريف بشريعته السمحة، وإذا كان كذلك فعليه أن يسلك الرفق في أدائها، وفي دعوة الناس إليها، فإن وُفِّقَ لذلك فحريٌّ به أن تناله دعوة النبي ﷺ التي قال فيها: «... وَمَنْ وُلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»^(١)، ومن أصابته دعوة النبي ﷺ فليبشر عندها بالخيرات التي تتوالى عليه، والمكرمات التي ينالها في دعوته.

وبسلوك طريق الرفق في الدعوة يسلم الداعية إلى الله من تطرق الخلل إلى دعوته، ويوفق للحُسن فيها وضبطها، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

وقد أخذ أحد الشعراء هذا المعنى من الحديث فقال:

(١) رواه مسلم برقم (١٨٢٨).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٩٤).

من جعل الرفق في مقاصده *** وفي مرافقه سلماً سلماً

وكلما كان القائم بالدعوة إلى الله رحيماً بعباد الله، رقيقاً بهم، شقيقاً عليهم، رقيق القلب لحاهم، فإنه يكون أقرب إلى الجنة من غيره، يقول عياض بن حمار رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ - وذكر منهم - وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِمٌ...»^(١).

أسأل الله أن يرقق قلوب الدعاة إليه، ويملاها رحمة وودا للمسلمين.

* * *

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٦٥).

الفصل الرابع

معالم الرفق في الدعوة إلى الله

قد قيل قديماً: "مكتوب في الحكمة: الرفق رأس الحكمة"^(١)، وهذه كلمة عظيمة يدرك مضمونها من نظر في آثارها، وتحلى بخلق الرفق، وطبقه في حياته، واستعمله في دعوته ومعاملته.

ومن وُفِّقَ لسلوك هذا الطريق فقد نال نصيبه من الخير الذي يرجوه في دعوته إلى الله، بهذا أخبرنا الصادق المصدوق عليه السلام: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..»^(٢).

وحريّ بمن لآنَ لعباد الله في دعوته، ورفق بهم في دلالتهم على الخير، أن يحرم الله جسده على النار، وأن يصرف الله وجهه عنها، قال عليه السلام: «إِنَّمَا يُحْرَمُ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيْئٍ لَيْنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ»^(٣).

(١) انظر: الزهد لوكيع بن الجراح برقم (٤٥٨)، والزهد للإمام أحمد ص (٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٥٢٥٩) واللفظ له، ورواه الترمذي برقم (٢٠٠٢)، وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٥١٩).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٤٦٩) واللفظ له، والترمذي برقم (٢٤٨٨) وغيرهما، وينظر السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٨).

فجدير بالداعية إلى الله أن يلازم هذه الصفات الأربع في دعوته، فإنه أولى بها وأحوج إليها من غيره، فإنها تحقق له الرفق الذي ينشده.

وفي هذا الفصل بيان لبعض معالم الرفق في الدعوة وعلاماته، والكشف عن بعض أساليب اللين وطرقه.

ومن تلکم المعالم:

١- اللين في الخطاب بحيث "يُجتهد الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر في استعمال الألفاظ التي يُرجى بسببها قبول الحق"^(١)، وذلك بانتقاء الألفاظ الطيبة، والعبارات الجميلة، والكلمات الحسنة، عند عرض الحق على المدعو وبيانه له.

وعلى هذا المنهج سار الأنبياء والرسل مع أقوامهم، ولهذا قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: "خطاب الأنبياء لأمتهم في القرآن إذا تأملته وجدته ألين خطاب وألطفه"^(٢).

ومن ذلك: خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه، فإن فيه من

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٤/٢٣٣).

(٢) بدائع الفوائد (٣/١٠٦٢).

عذوبة الألفاظ، واللفظ في القول، وحسن البيان؛ ما هو ظاهر لكل متأمل، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥﴾ [مريم: ٤١ - ٤٥].

ومن ذلك خطاب موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون عندما بعثه الله تعالى إلى فرعون، قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى ١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَحْتَنِي ١٩﴾ [النازعات: ١٧ - ١٩] "فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل، فإنه أتى بـ ﴿هَلْ﴾ الدالة على العرض والمشاورة التي لا يشتمز منها أحد، ودعاه إلى التركي والتطهر من الأدناس - التي أصلها التطهر من الشرك - الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل "أزكيك" بل قال ﴿تَزُكَّى﴾ أنت بنفسك، ثم دعاه إلى

سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعمة الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها فقال: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾، فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب؛ علم أنه لا ينجع فيه تذكير، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر" (١).

وهكذا السائرون على سبيل الرسل يسلكون مسلكهم في خطاب المدعويين وحوارهم، فهم أولى به وأحق، قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: " فهكذا الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر الموفق، يتحرى الرفق والعبارات المناسبة، والألفاظ الطيبة عندما يمر على من قصر في ذلك، في المجلس أو في الطريق أو في أي مكان، يدعوهم بالرفق والكلام الطيب، حتى ولو جادلوه في شيء خفي عليهم، أو كابروا فيه؛ يجادلهم بالتي هي أحسن" (٢).

ويدخل في لين القول والرفق بالمدعو: مناداته بحسب منصبه أو لقبه، فإن هذا أدمى لترقيق قلبه (٣)، وإنصاته لما يُقال له، ولهذا لما

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥٠٦).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٦٥/٥).

(٣) انظر: الدعوة إلى الإصلاح (٧٦).

بعث نبينا ﷺ رسالة إلى هرقل لدعوته إلى الإسلام قال فيها:
«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل
عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى...»^(١).

ومن اللين في القول: الجدل بالتي هي أحسن، لقوله تعالى: ﴿ادْعُ
إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

والمجادلة بالتي هي أحسن: "هي الطرق التي تكون أدعى
لاستجابته عقلاً ونقلًا"^(٢)، المقرونة بالرفق واللين، المشتملة على
مقابلة المشاغبة بالنصح، والخشونة بالتسامح واللفظ، كما بين
ذلك غير واحد من المفسرين.

٢- من الرفق في الدعوة: مراعاة حال المدعو من حيث
حالته الذهنية والعقلية لديه، وأن يُلقى عليه من الأحكام الشرعية
ما يناسب حاله، ويقوى على إدراكه، وهذا يندرج تحت قاعدة

(١) رواه البخاري برقم (٧)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٥٢).

(التدرج) والبدء بما هو أيسر عملاً وأقرب إلى المؤلف^(١) - حسب ما دلت عليه الشريعة - وبهذا يجمع بين تبليغ الأحكام الشرعية وبين مراعاة حال المدعو، من جهة فهمه، ومن حيث الأسلوب المناسب له، وهذا هو الرفق.

قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: "ومن الحكمة في تعليم العوام وإرشادهم؛ أن يُعَلِّمُوا ما يحتاجونه بألفاظ وعبارات مناسبة لأذهانهم، قريبة من أفهامهم، فهذا فيه نفع كبير... ومن الحكمة في حق الناصح: أن يكون رفيقاً متأنياً متوخياً للحالة المناسبة للمنصوح بلين"^(٢).

٣- ومن اللين في الدعوة والرفق بالمدعو: إنكار الشر والنهي عن المنكر بالطريق الشرعي المبني على الاعتدال، البعيد عن البغي والاعتداء والعنف، إذ المقصود هو إزالة الشر أو تخفيفه، وليس القصد هو الانتقام أو التشفي من العاصي أو المرتكب للمخالفة الشرعية، وبهذا المسلك يجمع الرفيق في دعوته بين التماس رضى الله

(١) الدعوة إلى الإصلاح (٨١).

(٢) الرياض الناضرة (١٣٨) ضمن مجموع مؤلفاته - رحمه الله - (٢٢).

بيان الحق وإنكار المنكر، وبين الرحمة بالخلق وتخليصهم من الشر برفق، وعودتهم إلى الله تعالى، وإقلاعهم عما يغضبه تعالى، وفي هذا يقول العلامة ابن باز رحمه الله: "الواجب على الدعاة إلى الله سبحانه والناصحين لعباده أن يتخيروا الأساليب المفيدة والعبارات التي ليس فيها عنف ولا تنفير من الحق، والتي يُرجى من ورائها انصياع من خالف الحق إلى قبوله والرضى به وإيثاره والرجوع عما هو عليه من الباطل، وأن لا يسلك في دعوته المسالك التي تُنفر من الحق ويدعو إلى رده وعدم قبوله" (١).

وعِظْ أَخَاكَ بِرَفْقٍ عِنْدَ زَلَّتِهِ
 فَالرَفْقُ يَعْطِفُ مَنِ يَعْتَادُهُ الزَّلْأُ
 وَإِنْ تَكُنْ بَيْنَ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ
 فَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ بِمَعْرُوفٍ إِذَا جَهِلُوا
 فَإِنْ عَصَوْكَ فَارْجِعْهُمْ بِلَا ضَجْرٍ
 وَاصْبِرْ وَصَابِرْ وَلَا يَحْزَنْكَ مَا فَعَلُوا (٢)

٤- أن الداعية الرفيق بالناس في دعوته إلى الله؛ مستقيم على

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣٥١/٢).

(٢) انظر: رسالة ذم من لا يعمل بعلمه لابن عساكر (٧١).

نصوص الكتاب والسنة في التحليل والتحريم، والايجاب والاستحباب، ونحو ذلك، فلا يُوجب على الناس شيئاً إلا ما أوجبه الله في كتابه، ونبيه ﷺ في سنته، ولا يُحرم عليهم شيئاً إلا ما حرم الله في كتابه، وحرم نبيه ﷺ في سنته - وهذا هو الرفق - والخروج عن ذلك يؤدي إلى العنت والشدة، والعنف والقسوة، والتنفير من الحق ورده، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وفي الجملة فإن النبي ﷺ قد أكمل الله له ولأئمة الدين، وأتم به ﷺ عليهم النعمة، فمن جعل عملاً واجباً ما لم يوجبه الله ورسوله، أو لم يكرهه الله ورسوله، فهو غالط، فجماع أئمة الدين أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله" (١).

٥- ومن الرفق في الدعوة إلى الله: الإحسان إلى المدعو - إذا كان مرتكباً لمحرم أو فاعلاً لمنكر - بعد الإنكار عليه، بدلالته على ما يغنيه عن ذلك من الأعمال النافعة أو القربات الصالحة، ونحو ذلك، مما يصرف عن المنكر ويقي عنه من قول نافع أو عمل صالح، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الدين هو

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/٩٣).

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، فلا يُنهى عن منكر إلا ويؤمر بمعروف يقي عنه"^(١)، ويقرر -رحمه الله- هذه المسألة مبيناً سبب ذلك بقوله: " وذلك لأن النفوس إذا اعتادت المعصية فقد لا تنفطم عنها انقطاعاً جيداً إلا بترك ما يقاربها من المباح"^(٢)، وهذا يُبذل للمدعوّ بحسب الإمكان وعلى قدر الاستطاعة، ومن تدبر النصوص وجد فيها من الرخص والمباحات والبدائل عما نهى الله عنه وحرمه ما يغني ويشفي ويكفي، ويُسعد النفوس ويطمئنئها.

٦- ومن الرفق في الدعوة: بيان الرخص الشرعية والدلالة على استعمالها في مواضعها، فهذا يشعر الناس بيسر الشريعة، وسهولة أحكامها ومراعاتها لظروف العباد، قال نبينا ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُحْصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ»^(٣)، والرخص الشرعية المعتمدة الثابتة كثيرة سواء ما كان متعلقاً بالإقامة أو

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٦/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١١٣/٢٩).

(٣) رواه أحمد في المسند برقم (٥٨٦٦) وابن حبان في صحيحه برقم (٢٤٨٨)،

وانظر إرواء الغليل برقم (٥٦٤).

السفر أو بحسب حال المكلف، وغير ذلك.

٧- ومن معالم الرفق في الدعوة: تأليف قلب المدعو واستمالة قلبه للحق، وقبوله الهدى، والرغبة في الخير، ولو بشيءٍ من متاع الدنيا، على أن يُصاحِب ذلك سماحة في الخلق، وطلاقة في الوجه، ونحو ذلك، فهذا وأمثاله مما يأسر القلوب ويمهد لقبول النصيحة والاستعداد لتلقيها^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "إن المشروع قد يكون هو التأليف تارة، والهجران أخرى، كما كان ﷺ يتألف أقواماً من المشركين ممن هو حديث عهد بالإسلام، ومن يخاف عليه الفتنة، فيعطي المؤلفه قلوبهم ما لا يعطي غيرهم"^(٢).

٨- ومن شأن الداعية الرفيق بالناس في دعوته ما قرره العلامة السعدي -رحمه الله- أنه "إذا لم يدرك جميع المطلوب تنازل إلى بعضه.

وإذا لم يحصل ما قصده من الخير قَنِعَ باندفاع الشر.

(١) انظر: الدعوة إلى الإصلاح (٩٠).

(٢) منهاج السنة (٦٤/١).

وإذا لم يندفع كل الشر دفعَ بعضه وحَقَّقَهُ.
 وإذا لم يمكن دفع الصعبِ الشديدِ وأمكنه تلطيفه لطفه، يُسائر
 الأمور والأحوال، فينتهز فرصها، ويأتي الأمور مع كل باب
 ووسيلة، لا يمل السعي، ولا يدركه الضجر والسامة^(١).
 وفي بيان هذا العلم من معالم الرفق يقول شيخ الإسلام
 ابن تيمية - رحمه الله -: "فَيُقْتَنَعُ بِالْخَيْرِ الْيَسِيرِ إِذَا لَمْ يَحْصُلِ الْكَثِيرُ،
 وَيُدْرَأُ الشَّرُّ الْكَبِيرُ بِالشَّرِّ الْيَسِيرِ، وَاللَّهُ تَعَالَى بَعَثَ الرَّسُلَ بِتَحْصِيلِ
 الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ دَعَا
 الْخَلْقَ بِغَايَةِ الْإِمْكَانِ"^(٢).

٩- والداعي إلى الله الرفيق في دعوته لا يهون من شأن
 ارتكاب المخالفات الشرعية ولا يضعف تعظيمها في النفوس،
 بل يحافظ على ذلك مع من يدعوه بالطرق الشرعية، وفي الوقت
 نفسه لا يُغْفَلُ جَانِبُ الْخَيْرِ فِي النَّاسِ، وَلَا يَتَنَاسَى أَوْ يَدْفِنُ بَوَادِرَ
 الْخَيْرِ الْكَامِنَةِ فِي نَفْسِهِمْ، بِسَبِّ شَيْوَعِ الشَّرِّ، وَاتِّشَارِ الْمُنْكَرِ، بَلْ

(١) الرياض الناضرة (١٤١ - ١٤٢)

(٢) مجموع الفتاوى (٩٦/١٣)

ينظر إليهم نظر رحمة، وشفقة، وتفاؤل، واجتهاد في إبراز الجانب الإيجابي فيهم عند دعوتهم، ويبرز الأسباب التي يستميل بها قلوبهم لقبول الحق والإصغاء إليه، والإقبال عليه.

فما كان فيهم من رحمة لرجاء الله أبانه.

وما كان فيهم من سلامة لفظهم ورغبة في الخير أظهره.

وما كان فيهم من تطلع للسلامة من عذاب الله أو سخطه زاد

في حثهم عليها والتمسك بها، وهكذا.

فهذه النظرة من الداعية إلى المدعوين تبعث الإقدام على الخير،

وتزيدهم تمسكاً لما هم عليه، وتشعرهم بالنظرة الحانية إليهم من هذا

الداعية وأنها نظرة ملؤها الرحمة، والرفق، واللطف، وحبّ الخير.

هذه بعض ملامح الرفق في الدعوة إلى الله ومعامله، في ذكرها

تنبيهاً على غيرها، حريّ بالداعية الناصح لنفسه أن يقف عليها،

ويعتني بها، عملاً بالسنة، واجتهاداً في تطبيقها، والله الهادي إلى

سواء السبيل.

* * *

الفصل الخامس

من مواقف النبي ﷺ في الرفق

من المهمات للداعية إلى الله تعالى الاقتداء بالنبي ﷺ في أخلاقه الكريمة، ومن ذلك: الاجتهاد في معاملة الناس بما كان يعاملهم به من اللين، والرفق، والتأليف، ولين الجانب، امتثالاً لأمر الله ﷻ وجذباً لعباد الله إلى دين الله (١).

يقول عطاء بن يسار: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-، قلت: أَحْبَرَنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ قَالَ: "أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِزْرًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِطْرٍ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَعْفُرُ، وَلَنْ يَفْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا،

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (١٥٤).

وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا" (١).

وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفرٍ من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلةً وكان رحيمًا رقيقًا فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: «ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم» (٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبُولُ في المسجدِ فقال أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مه مه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُزرموه» (٣) دَعُوهُ» فتركوه حتى بَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ فقال له: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عِزِّهِ وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ - أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ» (٤) عليه» (٥).

(١) رواه البخاري برقم (٢١٢٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٢٨).

(٣) أي: لا تقطعوا بوله، فتح الباري ١/١٢٧.

(٤) أي: صبّه، شرح النووي على مسلم (١٩٣/٣).

(٥) رواه البخاري برقم (٦٠٢٥)، ومسلم برقم (٢٨٥)، واللفظ له.

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: "بيننا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجلٌ من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتون لي كني سكتاً، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»^(١).

وعن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: "هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد" قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجني إلي ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني

(١) رواه مسلم برقم (٥٣٧).

مَلِكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتُمْ، إِنَّ
شِئْتُمْ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشَبِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ
اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (١).

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَتْ: "دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ
عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ
قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهَلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ
فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْمَ تَسْمَعُ مَا قَالُوا قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ» (٢).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى
النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا
فَقِيلَ هَلَكْتَ دَوْسٌ قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ» (٣).

فهذه المواقف وأمثالها منه صلى الله عليه وسلم، تدل على ما

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٠٢٤)، ومسلم برقم (٢١٦٥).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٩٣٧)، ومسلم برقم (٢٥٢٤).

كان عليه من الاتصاف بخلق الرفق، ولطفه بالناس، ورأفته بهم،
وحرصه على هدايتهم.

* * *

الفصل السادس

آثار إهمال الرفق

كما أن للزوم الرفق عوائده المباركة، فإن لإهماله، وعدم تجمل الدعاء بالتخلق به عواقب لا تحمد، ويكفي العاقل ردعاً عن إهمال الرفق قول النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(١)، وقال: «مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ، يُحْرِمِ الْخَيْرَ»^(٢).

إن من آثار إهمال الرفق واستعمال العنف في الدعوة:

١- رد الحق ورفضه، وعدم قبول أهله، وإذا كان رسول الله ﷺ وهو من هو في الخلق وقد قال الله له: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا أَلْقَبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فما عسى أن يقال لغيره.

٢- إن العنف يقود صاحبه إلى احتقار المجتمع والنظر إلى

(١) سبق تخرجه ص (٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٢).

أفراده نظرة دوتية، وربما وصل الأمر بمن هذا حاله إلى الحكم على الناس بالهلاك، وفي هذا وأمثاله يقول نبينا ﷺ: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم»^(١).

قال ابن عبد البر المالكي - رحمه الله -: "هذا معناه عند أهل العلم: أن يقولها الرجل احتقاراً للناس، وإزراءً عليهم، وإعجاباً بنفسه، وأما إذا قال ذلك تأسفاً وتحزناً وخوفاً عليهم؛ لئبج ما يرى من أعمالهم، فليس ممن عني بهذا الحديث" ^(٢).

٣- الخروج عن إصابة الحق في الأمور، وهذا أمر لازم لمن اهمل الرفق وتركه، ولم يجاهد نفسه عليه، ولهذا قال نبينا ﷺ في شأن الرفق إذا خلا من الأمور: «وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» .

٤- إن إهمال الرفق في الدعوة مدخل للشيطان على قلب الداعية إلى الله، وذلك بأن يقذف في قلبه الفتور عن المضي في دلالة الناس على الخير، فإنه حين لا يرى القبول لما يدعو إليه يدخل عليه الملل، ويلحقه الإحباط النفسي والقلبي، ويضعف عن القيام بالدعوة إلى الله، وما يعلم أن من أسباب عدم إقبال الناس

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٢٣).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤٢/٢١).

على ما يدعو إليه من الهدى ذلك العنف الذي صَاحَبَ دعوته،
وتلك الشدة التي لم تكن في موضعها.
إضافة إلى ما في العنف من الخروج عن هدي الأنبياء والرسل،
وتشويه سمعة الدعوة، وفتح باب ثغرة للمتربصين بالمسلمين من
الإساءة إليهم ونحو ذلك.

* * *

الفصل السابع

الوسائل المعينة على الاتصاف بخلق الرفق في الدعوة

خلق الرفق كغيره من الأخلاق التي يمكن اكتسابها - إن سلكت الوسائل المناسبة للتخلق به- وإلى هذا أشار النبي ﷺ في قوله: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يُعطه، ومن يتوق الشر يوقه»^(١).

ومن أراد التحلي بخلق الرفق فعليه بما يأتي:

- ١- الدعاء وسؤال الله تعالى هذا الخلق، فإنه تعالى واهب الأخلاق، ومسديها، ومقسمها بين عباده.
- ٢- إدراك منافع الرفق وآثار اللين المباركة على الدعوة، وما يعقب استعمال هذا الخلق من نجاحات باهرة، من حُبِّ للدعوة، وإقبالٍ عليها، وعملٍ بالحق، واقتناعٍ به، واجتهادٍ في نشره.
- ٣- ترويض النفس وتعويدها على ملازمة هذا الخلق، وضبطها في مواطن الغضب والانفعال في الدعوة وعند الخلطة بالناس.

(١) ينظر في بيان طرقه والحكم عليه سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٣٤٢).

٤ - معرفة طبائع الناس، والعلم بأحوالهم وأخلاقهم^(١).

٥ - دوام النظر في سيرة رسول الله ﷺ، وهدية في دعوته، وأخذ العِبَر والحِكَم والفقهِ من مواقفه في رفقه بالناس ورأفته بهم، فإنه صلوات ربي وسلامه عليه خير من طبق هذا الخلق وعمل به في دعوته.

هذه بعض الوسائل المساعدة على الاتصاف بهذا الخلق، ومتى استشعر المرء حبَّ الله لهذا الخلق، وصاحب ذلك الاحتساب والصبر وسخاء النفس كان اتصافه بهذا الخلق أقرب، وثباته في قلبه أقوى، والموفق من وفقه الله.

* * *

(١) انظر: الرياض الناضرة (١٣٨).

وختاماً: فإن مما على الداعي أن يراعيه هو لزوم الاعتدال في استعمال خلق الرفق واللين، بلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء، "فإن مجرد اللين يفسد، ومجرد الشدة تفسد"^(١)، وتعود بالضرر على الداعية والمدعو، فإن التفريط في اللين يؤدي إلى ترك الدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر، والإفراط يؤدي إلى ضده من التعسف والقسوة والعنف، والسلامة من هذا وهذا طريقها الاعتدال في استعمال اللين، والتوسط في استعمال الشدة، ولا يتم ذلك إلا بتطبيق السنة، والاستقامة على هدي رسول الله ﷺ في اللين والشدة، وذلك باستعمال كلٍّ من اللين والشدة في موضعهما المناسب واللائق، بمراعاة حال المدعو، وحال الزمان، وحال المكان، ونحو ذلك، فبهذا بعث الله نبينا ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فبعث الله محمداً ﷺ بالشريعة الكاملة العادلة، وجعل أمته عدلاً خياراً، لا ينحرفون إلى هذا الطرف ولا إلى هذا الطرف"^(٢)، يريد بذلك طرف اللين الذي لا شدة فيه، وطرف

(١) منهاج السنة (٦/١٣٩).

(٢) الجواب الصحيح (٥/٨٣).

الشدة الذي لا رفق معه ولا لين.

وبسلوك هذا المسلك - أعني: الوسطية في استعمال الرفق واللين - يكون الداعية إلى الله لنا في غير ضعف، قويا في غير عنف بإذن الله، وفي هذا يقول العلامة ابن باز -رحمه الله -: "ولا ينبغي للداعية أن يلجأ إلى الشدة والغلظة إلا عند الحاجة والضرورة وعدم حصول المقصود بالطريقة الأولى، وبذلك يكون الداعي إلى الله سبحانه قد أعطى المقامين حقهما، وترسم هدي الشريعة في الجانبين والله الموفق"^(١).

وفي بيان خلاصة هذا المسألة وشرح ما جاءت الشريعة الإسلامية الربانية في باب اللين والرفق، يقول أيضا -رحمه الله:

"والخلاصة: أن الشريعة الكاملة جاءت باللين في محله، والشدة في محلها، فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك، ولا يجوز أيضا أن يوضع اللين في محل الشدة، ولا الشدة في محل اللين، ولا ينبغي أيضا أن ينسب إلى الشريعة أنها جاءت باللين فقط، ولا أنها جاءت بالشدة فقط، بل هي شريعة حكيمة كاملة صالحة لكل

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/٢٠٧).

زمان ومكان وإصلاح جميع الأمة. ولذلك جاءت بالأمرين معا. واتسمت بالعدل والحكمة والسماحة فهي شريعة سمحة في أحكامها وعدم تكليفها ما لا يطاق، ولأنها تبدأ في دعوتها باللين والحكمة، والرفق، فإذا لم يؤثر ذلك وتجاوز الإنسان حده وطغى وبغى أخذته بالقوة والشدة وعاملته بما يردعه ويعرفه سوء عمله.

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين وصحابته المرضيين وأئمة الهدى بعدهم عرف صحة ما ذكرناه^(١).

* * *

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/٢٠٤-٢٠٥).

فهرس الموضوعات

٣	كلمة رئيس الدائرة.....
٥	المقدمة.....
٨	الفصل الأول: فضل الدعوة إلى الله والترغيب فيها.....
١٣	الفصل الثاني: أصول الدعوة إلى الله إجمالاً.....
١٨	الفصل الثالث: الرفق في الدعوة ضرورة شرعية.....
٢٧	الفصل الرابع: معالم الرفق في الدعوة إلى الله.....
٣٩	الفصل الخامس: من مواقف النبي ﷺ في الرفق.....
٤٤	الفصل السادس: آثار إهمال الرفق.....
	الفصل السابع: الوسائل المعينة على الاتصاف بخلق الرفق
٤٧	في الدعوة.....

* * *



06 / 5055888



Pin : 7E989171



0561888292



Islamic_affairs



Islamic_affairs